جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللّغة العربيّة – الدراسات العليا

صورة الذات في شعر المرأة الأندلسية

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير

في اللغة العربيّة وآدابها/ تخصص أدب

من الطالبة

مروه حاتم جسام

بإشراف

أ.م.د. لؤي صيهود فواز التميمي

١٤٤٢هـ ٢٠٢٠م

الفصل الأوّل
المكونات الثقافية والاجتماعية

المبحث الأول: الثقافة الدّينية.

المبحث الثاني: المؤثرات الاجتماعية.

مدخل:

ضمَّ المجتمع الأندلسي فئات مختلفة ومتعددة الأصول والعقائد والثقافات, فكان فيه أهل البلاد الأصليون وفيه الوافدون من عرب وبربر، وكان في مقدمة العناصر التي وفدت إلى الأندلس العرب الفاتحون الذين جاؤوا في فوج موسى بن نصير وأطلق عليهم اسم (البلديين) ثم تبعتهم أفواج أُخرى وأطلق عليهم اسم (الشاميين)[١].

ومثل العرب الفاتحون أهم سكان الأندلس؛ إذ قاموا بنشر الدين الإسلامي واللغة العربية التي تفاعلت معها عناصر المجتمع الأندلسي حتى عُدت لغة رسمية في البلاد, فكان للعرب القوة والسيطرة على هذه البلاد منذُ الفتح[٢]، يقول الدكتور أحمد أمين: ((إن العرب كانوا يحسون إحساسًا قويًا بأرستقراطيتهم لغَلَبَتَهِمِ على الإسبانيين والبربر وإدخالهم في الإسلام, وبِلُغتهِم التي تفوق غيرها))[٣].

ومِنَ العناصر الأخرى التي هاجرت إلى الأندلس العنصر البربري, الذي جاءَ من شمال أفريقيا بِأعداد هائلة حتى تألفَ معظم جيش طارق بن زياد منهم, وأدى البربر أثرًا مهمًا في تاريخ الأندلس؛ إذ بدأ تأثيرهم واضحاً في الحياة الاجتماعية السياسية والثقافية, وساعدوا على نشر الإسلام وترسيخ العقيدة الإسلامية في أنحاء البلاد[٤].

ومن الفئات الوافدة أيضًا ((موالي بني أُمية الذين أتوا مع جيش موسى بن نصير سنة ٩٧ هـ, وفي طالعة بلج بن بشير القشيري سنة ١٢٤هـ وكان أغلبهم من أهل المغرب من البربر))[٥].

---

(١) ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: أحمد هيكل, دار المعارف, القاهرة, ١٩٨٥م: ٣٠.

(٢) ينظر: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي: حسين يوسف دويدرا, ط١, ١٩٩٤ م: ١٤.

(٣) ظهر الإسلام: أحمد أمين, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ١٩٦٢م: ٢/٣.

(٤) ينظر: تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة: السيد عبد العزيز سالم, دار المعارف, لبنان: ١٢٢-١٢٥.

(٥) المجتمع الأندلسي في العصر الأموي: ٣٠.

وتعايشت هذه العناصر العربية مع عناصر إسبانية من النصارى وهم سكان الأندلس الأصليين، وقد نَبَذَ عدد كبير من هؤلاء دينهم المسيحي واعتنقوا الإسلام، إذ كانَ لروح التسامح الفكري والثقافي الذي سارَ عليه العرب الفاتحون أثراً كبيراً في إقبالهم على الدين الإسلامي وعلى الثقافة العربية، وأُطلِقَ عليهُم بعد ذلك اسم (المسالمة) لدخولهم الإسلام، وإلى جانب هؤلاء المسالمة كانت هناك فئات من المستعربين الإسبان الذين عاشروا المسلمين وتعلموا لغتهم العربية إلا أَنهم ظلوا على دينهم المسيحي ولم يستسلِموا، وقد تركَ العرب لهؤلاء الحرية الدينية والاجتماعية في ممارسة طقوسهم[١] .

((ولم يكن هؤلاء المستعْرِبون وحدهم الذين يعايشون المسلمين من أصحاب الديانات الأُخرى، بل كانت تعيش إلى جانبهم جاليات يهودية وقَد وجدت أَيضًا من المسلمين التسامح والود وحُسن المعاملة))[٢].

ومن هنا يتضح أنَّ المجتمع الأندلسي كانَ خليطًا من عناصر بشرية عدة تختلف في الأصل والدين والثقافة، وهذه العناصر المختلفة تفاعلت وتمازجت فيما بينها بالمصاهرة والزواج، فقد أقبَلَ كثيرٌ مِنَ الفاتحين العرب على الزواج مِن الفتيات الإسبانيات لما وجدوه فيهنَّ من الصفات المميزة منَ الرشاقة والبياض، كما وصفهُنَّ ابن الخطيب الغرناطي يقول: ((وحريمهم حريمٌ جميل موصوف بالحُسن، وتنعم الجسوم، واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر وخفة الحركات))[٣].

---

(١) ينظر: تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس: ١٢٧.

(٢) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ٣٨.

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب، ط١: ٣٨/١.

وتعدّ أَول مصاهرات العرب مع الإسبان زواج عَبد العزيز بن موسى بن نصير ((فقد تزوجَ عبد العزيز بن موسى من إسبانية، وهيَ أرملة الملِك لوذريق وتطلق عليها المصادر العربية اسم أيلة))[١].

ونتجَ عَن هذا الاختلاط والتزاوج بين العرب والإسبان جيل جديد يسمى "بالمولّدين" مِن آباء عرب وأُمهات إسبانيات، وتمتع هذا الجيل بالذكاء والجمال والقوة؛ لِأَنهُ أختلطَ فيهِ الدم العربي والدم الإسباني، كما أنَهم مثلوا أغلب سكان الأندلس[٢].

وعلى الرغم من هذا الخليط السكاني لَم يكن المجتمع الأندلسي مفككًا أَو مُهَلهَلًا، بل كانت الروابط القوية تربط بينهم وتَشُد بعضهم إلى بعض، لذلك جمعتهم بيئة مشتركة وثقافة مشتَرَكة، ولَعَلّ أهم أسباب تماسك الوحدة البشرية وترابطها في المجتمع الأندلسي هي الثقافة العربية الإسلامية؛ لأَن العنصر الذي يمثل أغلب سكان الأندلس هو العنصر العربي الممتزج بالعنصر الإسباني[٣].

ومن هنا نجد أن الأديان السماوية الثلاثة، الإسلامية، والنصرانية، واليهودية، كانت شائعة في المجتمع الأندلسي، ولكن الغالبية العظمى من السكان كانوا مسلمين.

وهكذا كان المجتمع الأندلسي مجتمعًا متعدد الأعراق والأجناس وكان لهذه الأعراق والأجناس دور في تقسيم المجتمع الأندلسي إلى طبقات متفاوتة في الحالة الاجتماعية والاقتصادية فبرزت الطبقة الأرستقراطية التي تشمل أصحاب الأُسر الثرية من الأُمراء والملوك، والطبقة العامية التي تشمل أفراد الأُسر العاميين، فكان لهذا التقسيم الطبقي انعكاساً واضحاً لصورة الذات في شعر المرأة الأندلسية. وكانت وقفتنا ضمن هذا الفصل بما يخص الامور الثقافية والاجتماعية وهذا يعتمد على ما وجدناه من صور تناسب العمل الذي نحن بصدده؛ مِمَّا أدى إلى التغافل عن الأمور السياسية وغيرها في تلك الحقبة.

---

(١) المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط قرطبة: ١٠٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٩.

(٣) ينظر: المجتمع الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ٣١.

المبحث الأول
الثقافة الدّينية.

بعدما انتَشَر الإسلام في كافة أنحاء المجتمع الأندلسي وترسَّخَتْ أسسه وقوانينه، وقد أعتَنقه الأندلسيون وعملوا على وفق أسسهِ ومنهاجه في تنظيم حياتهم، وبدأ الشعراء ينهلون من معانيهِ وألفاظهِ في تَصوير أفكارهم وإيصالها للمتلقي. ((والقارئ للشعر الأندلسي يلحظ بشكل واضح أن القرآن الكريم كان مصدرًا أساسيًا من المصادر التي عَكفَ عليها الشعراء، ورافدًا مهمًا في ثقافتهِم))[١].

ولم تكن المرأة الأندلسية بِمعزل عن معالم وأصول الثقافة الدينية، بل تَثَقَفت بِثقافة مجتمعها المتنوعة، وأفادت كثيرًا من موروثِها الديني، وبَدَتْ أثار الثقافة الدينية واضحة في أشعارها، منها الصورة التي تؤكد أن القضاء والقدر بيد الله عزّ وجلّ، ومن ذلك نذكر قول بثينة[*] بنت المعتمد بن عباد عندما حلت النكبة بالمعتمد فأسر وزوجته إلى أغمات في المغرب[٢] ، تقول:

لما أرادَ الله فُرقةَ شَملنا وأذاقَنَا طعم الأسى من زادِ

قامَ النفاقُ على أبي في ملكهِ فَدنا الفِراقُ ولم يكُن بمراد[٣]

دافعت الشاعرة عن سلطة أبيها بوساطة ثَقافَتها الدينية، ووصفت الذين فعلوا ذلِكَ بهم وأوقعوا بينهم بأهل النفاق، مؤكدة في عجز البيت الثاني أنَ القضاء والقدر بيد الله عزَ وجل ولم يكن بِمُرادها من قولها:

(فدنا الفراق ولم يكن بمراد).

---

(١) أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة: محمد شهاب العاني، ط١، دار الشؤن الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢: ١٤.

(*) بثينة هي بنت المعتمد بن عباد الشاعر المعروف، وأمها اعتماد الرميكية من النساء المشهورات في الأندلس، وقد ورثت بثينة عن أمها الجمال ونظم الشعر (نفح الطيب:٤/٢١١-٢٨٤).

(٢) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٧٠.

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق:إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٦٨م: ٤/٢٨٤.

ومـنهن أيضـا أنـس القلـوب(*) قالـت مؤكـدة علـى أن القضـاء والقـدر بيـد الله من قولها:

أذنَبتُ ذنبًا عَظيمًا فَكيفَ منه اعتذاري

والله قَّدرَ هذا ولم يكُن باختياري(١)

ومن المواضع الأخرى التي يظهر فيها إيمان الشاعرة بقضاء الله وقدره، ما قالته الشاعرة الشلبية مخاطبة السلطان يعقوب المنصور شاكية الظلم والجور الذي حلَّ في بلادها، تقول:

قَد آنَ أن تبكي العيونُ الآبية ولقدْ أَرى أَنَّ الحجارةَ باكيهْ

يا قاصدَ المِصر الذي يُرجى به إنْ قَدَّرَ الرحمنُ رفعُ كراهيهْ(٢)

يظهر بوضوح إيمان الشاعرة بقضاء الله وقدره في عجز البيت الثاني في قولها إن قدر الرحمن رفع كراهية، ونتيجة إيمانها استطاعت أن ترفع صوتها للسلطان وتشكو ظلم الوالي الذي من شِدة ظلمهِ عليهم بكت مَعَهم حجارة شَلب(*) ومنهن أيضًا قسمونة(*) بنت إسماعيل اليهودي قالت مخاطبة ظبية لها:

يا ظَبيةً ترعى بروضٍ دائمًا إنّي حكيتُكِ في التَوحُّشِ والحَوَرْ

(*) أنس القلوب: وهي جارية المنصور بن أبي عامر(نفح الطيب: ٦١٦/١).

(١) نفح الطيب:٦١٨/١.

(٢) التكملة لكتاب الصلة: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، ١٩٩٥: ٢٦٠/٤.

(*) الشلبية: عرفت هذه الشاعرة بهذا الاسم نسبة إلى بلدها شلب، وقد عاشت في عهد الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور (شعراء العرب المغرب والأندلس: يوسف عطا الطريفي:٣٠٢) وهي من مدينة (شلب) التي تقع غرب الأندلس، (معجم البلدان: ياقوت الحموي: ٣٥٧/٣).

(*) قسمونة بنت إسماعيل بن بغدالة اليهودي، قال عنها في المغرب انها من أهل المائة السادسة (نزهة الجلساء: ٤٧).

أَمسى كلانا مُفردًا عن صاحبٍ فلنصطبرْ أَبدًا على حُكْمِ القَدَرْ[١]

قد قرنت الشاعرة القضاء والقدر بالصبر في عجز البيت الثاني، في قولها فلنصطبر أبدًا على حكم القدر.

كما وظفت الشاعرة الأندلسية إيحاء الأسماء الحسنى ودلالتها توظيفًا يعكس ثقافَتها الدينية ومنها صفة الرحمن، إذ تقول الشَلبية موظفة صفة الرحمن في قولها:

يا قاصِد المِصر الذي يُرجى به إن قَدَّرَ الرحمن رفعُ كراهية[٢]

لقد وفقت الشاعرة هنا في توظيف صفة الرحمن؛ لأنها تتحدث عن رحمة المولى عزَ وجل بأن يرفع الظلم والشدائد عنهم.

ووظفت قمر البغدادية[*] صفة الباري في قولها:

ما لابْن آدَم فَخْرٌ غَيْرَ هِمَّتِهِ بَعْدَ الديَانَةِ والإخلاصِ للبَارِي[٣]

كما وظفت ولادة بنت المستكفي صفة ذي العرش ربِّ المنن وهي تهجو الأصبحي لتذكره بنعم الله وفضله عليه، تقول:

يا أصبحيُّ اهنأ فكم نعمةٍ جاءتكَ من ذي العرش ربِّ المننْ[٤]

فمن الواضح هنا إن الشاعرة الأندلسية كانت مؤمنة بصفات الله عز وجل، فتذكرها حين تذكر رحمته ونعمته وحتى عندما تفتخر بدينها وتوحيدها لله.

---

(١) نفح الطيب: ٥٣٠/٣.

(٢) التكملة لكتاب الصلة: ٢٦٠/٤.

(*) قمر البغدادية: جارية بغدادية الأصل، وفدت إلى الأندلس مع بعض النساء الوافدات من الشرق (شعراء العرب المغرب والأندلس: ٣٩٦).

(٣) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٣م : ١٤٨/٢.

(٤) نفح الطيب: ٢٠٦/٤.

وانعكست الثقافة الدينية في أخلاق المرأة الأندلسية، ونذكر في هذا الجانب قمر البغدادية التي وجهت لها الكثير من النساء عيوبًا؛ لأنَّها حظيت بمكانة متميزة عند مالكها، فكنَ يتهامسنَ إذا مرّت بهنّ غيرةً وحسدًا، فردّت عليهن بما منحها الله من أخلاق دينية(١)، قائلة:

ما لابْنِ آدَمَ فَخْرٌ غير هِمَّتِهِ بَعْدَ الديَانَةِ والإخلاصِ للبارِي
دَعْني من الجَهْلِ لا أرْضى بصاحبِهِ لا يَخْلُصُ الجَهْلُ من سَبٍّ ومن عَارِ
لو لم تَكُن جَنَّةٌ إلا لِجاهلةٍ رَضِيتُ من حُكمِ رَبِّ الناسِ بالنّارِ(٢)

لقد ردَّت الشاعرة بخلق ديني، مبينه للنسوة اللواتي عابنها بأنهُ ليس لابن آدم فخر على غيرهِ إلا التي يحققها بنفسهِ، بعد إخلاصه لله عزَ وجل، وفي البيت الثالث نجد الشاعرة تفضل النار على الجنة إذا دخَلَتها الجاهلات.

كما صَورت ولادة بنت المستكفي صورة المرأة الملتَزمة بمبادئ الدين الإسلامي وقيمه الأخلاقية وذلك في قولها:

إني وإن نَظَرَ الأَنامَ لِبَهجَتي كَظباءِ مكّةَ صَيدُهُنَّ حرامُ
يُحسَبْنَ من لِينِ الكَلامِ فَواحشًا ويَصُدُّهنَّ عَن الخنَا الإسلام(٣)

والمتأمل للنصوص الشاعرة الأندلسية يجد أنها تفيد من الثقافة الدينية، التي ظهرت بشكل واضح بوساطة الاقتباس من القرآن الكريم، إذ وظفت الشاعرة النص القرآني بألفاظهِ ومعانيه لِلكشف عن أفكارها ورؤاها المختلفة التي تريد إيصالها(٤).

---

(١) ينظر: حفريات أندلسية: صالح ويس محمد، مشاركة: د. غيداء أحمد سعدون، د. واقدة يوسف كريم، د. أحمد خلف صالح المفرجي، د. مثنى عبدالله المتيوتي، ط١، دار نور للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٨م: ١٥٦.

(٢) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ١٤٨/٢.

(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: تحقيق علي عبد العظيم، نهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع: ٣٠.

(٤) ينظر:المضامين التراثية في شعر المرأة الأندلسية:(بحث) زهراء نعمة حسن، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد٤٨، ٢٠١٨م: ٩٤.

ومن الاقتباسات التي وردت في أشعارها نذكر قول زوجة (قاضي لوشة[*]) في هجاء أصحابه الذين عابوا عليه؛ لأنه كان يستَشيرها بما يحكم، تقول:

هوشيخُ سوءٍ مُزدري لهُ شيوبٌ عاصية
كلا لئن لم ينتهِ لنَسفَعًا بالناصية[١]

لقد اقتَبست الشاعرة شطر البيت الثاني من قولهِ تعالى: ﴿كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق:١٥] والآية الكريمة في سياقِها القرآني توحي بالتهديد والعذاب الشديد، والشاعرة قالت هذه الأبيات في موضع التهديد أيضًا، ولعلّ هذا الاقتباس النصي قَد يكون هو الوحيد الذي لمسناه في أشعارها، ولكن وردَّت اقتباسات إيحائية كثيرة في أشعارهن توظف فيه الشاعرة جزءًا مِن الآية بما يتناسب مع أفكارها، ومن أمثلة هذا الاقتباس في أشعارهنَّ نذكر قول أسماء العامرية[*] في أبيات بعثت بها إلى عبد المؤمن بن علي ملك الموحدين تَنتَسب فيها إليه طالبة رفع الاعتقال عن مالِها[٢] ، تَقول:

عَرَفنا النَّصرَ والفَتحَ المُبينَا لِسَيدنا أَمير المؤمِنينَا
إذ كان الحديثُ عن المَعالي رأَيتُ حَديثَكُم فِينا شُجونا[٣]

ورد في البيت الأول إشارة إلى قوله عزَّ وجلّ: ﴿إِذَا جاءَ نَصرُ اللهِ والفَتحُ ﴾ [النصر:١]

(*) قاضي لوشة: هوأحد قضاة مدينة لوشة الأندلسية التي تقع غربي البيرة قبل قرطبة وهي مدينة طيبة على نهر سنجل نهر غرناطة (معجم البلدان: ياقوت الحموي: ٢٦/٥).

(١) نفح الطيب: ٢٩٤/٤.

(*) أسماء العامرية: وهي من أهل إشبيلية، شاعرة عفيفة أدبية من صوالح النساء، ذات جمال بارع وأدب صالح التكملة لكتاب الصلة: ٢٥٦/٤. ٢٥٧.

(٢) ينظر: موسوعة نساء شاعرات: محمد شراد: تحقيق حيدر كامل، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٦م: ٢٣.

(٣) التكملة لكتاب الصلة:٢٥٧/٤.

وكأنَّها تريد بوساطة هذا الاقتباس أن تبين مكانة ممدوحها العالية، وأخلاقه الرفيعة وما يمتلكه من شجاعة في المعارك وما في حديثه من شجون، قد عكست هذه الأبيات صورة امرأة شجاعة استطاعت أن تفصح عن مكنونات الذات في مجلس الملك وتَمدحهُ وتلقبه بالسيد، لينصفها ويرفع الحجز عن أموالها.

وقالت مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري(*) عندما اصطَدَمت بهموم الكبر وأراق الشيخوخة

فَشَكَتْ من المرض قائلة(١):

وما يُرتجي من بنتِ سبعينَ حجةً وسبعٍ كَنسجِ العنكَبوت المهلهلِ

تَدبُّ دَبيبَ الطفلِ تَسعى إلى العصا وتَمشي بها مشيَ الأسيرِ المكَبَّلِ(٢)

فالشاعرة عندما دَخَلت في هذه المرحلة من العمر، شعرت بالضعف والعجز وعدم القدرة على المشي فَشَبَّهَتْ نفسها بنسج العنكبوت الضعيف، مستَسقية ذلك من قولهِ تعالى:﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَخَذُوا مِن دونِ اللهِ أَولِياءَ كَمَثَلِ العَنكَبُوتِ اتَخَذَت بَيتًا وإِنَّ أَوهَنَ البُيُوتِ لَبيتُ العَنكَبوتِ﴾ [العنكبوت:٤١].

لَقَد أجادَتْ مريم في توظيف العبارة القرآنية، لتقّرب الصورة الحقيقية للذات التي بدأت تستَشعر قرب الرحيل ودنو الأجل؛ بسبب تَقدّمها في السن وبلوغها مرحلة الشيخوخة(٣).

والشاعرة الأندلسية لم يكن تَوظيفها للنص القرآني موفقًا في جميع الأحيان، قد وَظّفت بعض الشواعر الأندلسيات ألفاظًا ومعاني من القرآن الكريم في مواضع لا تليق

(*) مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري: ذكرها ابن دحية في (المطرب) إنها أدبية شاعرة مشهورة، كانت تعلم النساء الأدب، وتحتشم لدينها وفضلها عمرت عمرًا طويلًا، وسكنت إشبيلية (نفح الطيب: ٢٩١/٤).

(١) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٦٩.

(٢) نفح الطيب: ٢٩١/٤.

(٣) ينظر: المضامين التراثية في شعر المرأة الأندلسية: ٩٥.

بقدسية القرآن الكريم، وذلك في بابي الغَزل والهجاء فمما وظفته في باب الغَزل قول حفصة الركونية(*) التي وظفت الفاظًا من القرآن لِتُحّقق رغبتها الذاتية بالوصول إلى الحبيب تقول:

فَثَغرِي مَوْرِدٌ عَذبٌ زُلالٌ وَفَرْعُ ذُؤابتي ظلٌ ظَلِيلُ
وَهَل تَخشى بأَن تَظْمى وتَضحى إذا وَافى إليكَ بيَ المَقيلُ(١)

أفادت حفصة في البيت الأول من قولهِ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجري مِن تَحتِها الأَنهارُ خَالِدِينَ فِيها أَبَدًا لَّهُم فِيها أَزواجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدخِلُهُم ظِلًا ظَلِيلًا﴾ [النساء:٥٧]

فَأخذت حفصة لفظة(ظِلًا ظَليلًا) التي وردت في النص ونَقلتها من سياقِها القرآني الذي يعني ظِلًا كَثيفًا لأهل الجنة إلى سياق آخر يخدم فكرتها، وهي إغراء المحبوب فَجَعلت من خصل شعرها ظِلًا لِحَبيبها، كما أَخَذت لفظة(تَظمى وتَضحى) في البيت الثاني من قولهِ تعالى: {وَأَنَّكَ لا تَظمَؤُا فِيها ولا تَضحى } [طه:١١٩] ونقلتها من سياقها القرآني الذي يتَحَدث عن خطاب الله عزَّ وجل لِسيدنا آدم (عليه السلام) بِأنه لَن يعطش في الجنّة ولن يصيبه حَرّ الشمس إلى سياق آخر يخدم فكرتها في إغراء المحبوب بِأَنها هي الجنة التي يروم الوصول إليها(٢).

أما فيما يخص باب الهجاء نذكر قول ولّادة بنت المستكفي وهي تَهجو ابن زيدون، تَقول:

(*) حفصة بنت الحاج الركوني: شاعرة أدبية من أهل غرناطة مشهورة بالحسب والأدب والجمال والمال (معجم الأدباء: ١١٨٢/٣).

(١) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحموي الرومي، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣: ١١٨٤/٣.

(٢) المضامين التراثية في شعر المرأة الأندلسية: ٩٦.

لَو أبصَرَ(...) [١] على نخلةٍ صارَ من الطير الأَبابيل[٢]

فهي هنا اقتَبست لفظة (الطير الأبابيل) من قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيهِم طَيرًا أبابِيلَ﴾ [الفيل:٣] لِتصف فسقَ ابن زيدون وكثرة فساده بالطير الأبابيل التي تأتي مُتتابعة بعضها على أثر بعض، فالكلام فيه فحش وفسق مما جعل اقتباس الشاعرة غير موفق وغير لائق بألفاظ القرآن الكريم.

كما وظَفت الشاعرة مَهجة القرطَبية[*] قصة مريم العذراء (عليها السلام) لِتَهجو بها أستاذَتها ولّادة؛ بسبب خلاف مَعها مستَغلة طبيعة الاسم فلفظة ولّادة تعني المرأة الكَثيرة الإنجاب ولكن الأميرة ولادة لم تَتَزوج وماتت بعد الثمانين مِن عمرِها عذراء[٣]، تَقول:

ولادَةُ قد صرْت ولادةً من غيرِ بعلٍ فُضِحَ الكاتمُ
حكَت لَنَا مَريَمُ لكنَّهُ نَخْلَةُ هذِي (...) [٤] قائمُ[٥]

فَهي اتَهمت ولادة بالزنا وانحطاط الأخلاق ؛لأنها على الرغم من عَدم زواجها تَنجب وتَلد، وتُشبهها في سياق ساخر بمَريم العذراء التي ولدت المسيح عيسى (عليهما السلام) من غير بَعل، لكنها توحي في عَجز البيت الثاني بأن مريم العذراء عفيفة

(١) كلمة بذيئة.
(٢) نفح الطيب: ٢٠٦/٤.
(*) مهجة بنت التيان القرطبية: لم يذكر اسم والدها في المصادر ولكن اطلق عليه لقب التيان؛ لأنه (كان يبيع التين) (المُغرب في حُلَى المغرب: ١٤٣/١) وذكرها السيوطي بأنها من أهل المائة الخامسة (نزهة الجلساء:٨١).
(٣) ينظر الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٢١٤.
(٤) كلمة بذيئة.
(٥) نزهة الجلساء في أشعار النساء: للإمام جلال الدين السيوطي، مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، بولاق، القاهرة: ٨١.

ألجأها الله إلى جِذع النخلة في قولهِ تعالى: ﴿فَأَجاءَها المَخَاضُ إلى جِذعِ النَّخلَةِ قَالت يا لَيتَني مِتُّ قَبلَ هذا وَكُنتُ نَسيًا مَّنسيًا﴾ [مريم:٢٣].

وأفادت الشاعرة الأندلسية من الحديث النبوي الشريف، وذلِك ما وجدناه في أبيات الشَلبية التي بعثَتها للسلطان يعقوب المنصور شاكيه تَقصيرهُ اتجاه أهل البلاد، تَقول فيها:

نَادِ الأَميرَ إذا وقَفتَ بِبابهِ يا راعيًا إنَّ الرعيَّةَ فانِيهْ

أَرسَلتَها هَملًا ولا مَرعَى لها وتَرَكْتَها نَهبَ السباعِ العَادِيهْ[١]

قد استَقت الشاعرة ألفاظها ومعانيها مِن قول الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) عندما أوصى أنَّ الكلَّ مسؤول عن الرعية التي يرعاها، يقول (صلى الله عليه وسلم): ((فَكلَكم راعٍ وكلَكم مَسؤول عن رَعِيتهِ)) [٢] .

فكان توظيف الشاعرة للحديث الشريف يتناسب مع فكرتها التي تريد إيصالها لِلسلطان بأنه مقصر تجاه شعبه وأرسَلَهم هملًا بيد حكام ظَلام[٣].

ومِن المكونات الدينية التي وجدناها عند الشاعرة الأندلسية حبّها للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) والتقرب منه لِما يمثله الرسول مِن مكانة ومَنزلة عَظيمة في نفوس المسلمين، والشاعرة أم سعد القرطَبية[*] أظهرت في شعرها ذاتًا محبّة للرسول فَأنشَدت لِنَفسها في تمثال نَعل النبي تَكملة لِقول مَن قال:

سَألثم التمثال إذ لم أجد لِلثم نعلِ المصطَفى من سبيل

---

(١) نفح الطيب: ٢٩٤/٤.

(٢) صحيح البخاري: لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م: ٥٨٠، (رقم الحديث/٢٤٠٩).

(٣) ينظر: المضامين التراثية في شعر المرأة الأندلسية: ٩٨.

(*) أم سعد وهي: بنت عصام بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يحيى الحميري، من أهل قرطبة وتعرف بسعدونة (التكملة لكتاب الصلة: ٢٦٤/٤).

فقالت:

لَعَلَني أحظى بِتَقبيلهِ في جنة الفردوس أسنى مَقيل
في ظِل طوبى ساكنًا آمنًا أسقى بأكواسٍ من السَلسَبيل
وأمسح القلب به علّه يُسكن ما جاش به من غليل
فَطالما استَشفى بأطلال من يهواهُ أهلُ الحبّ من كل جيل(١)

فالشاعرة تَتَمنى الخلود مع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في جنة الفردوس إذ تراهُ مكانًا آمنًا ساكنًا يمحو غَليل القلب وينزل فيه الراحة والطمأنينة والاستقرار الذي فقدته في وطنها؛ بسبب تَدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية، ثم نراها تذكر السمات الجميلة لجنة الفردوس، عندما تقول في(ظل طوبي) فهي تشير هنا إلى شجرة طوبى التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ طُوبى لَهُم وَحُسنُ مَئابٍ﴾ [الرعد:٢٩] كما ذكرت(عين السلسبيل) التي جاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿عَينًا فِيها تُسَمَّى سَلسَبِيلًا ﴾ [الإنسان:١٨].

ومِن هنا نستَخلص أن شعر المرأة الأندلسية كان متأثرًا بالدين الإسلامي، إذ نَجد الكَثير من أشعارهنّ تحيل على ألفاظٍ ومعانٍ قرآنية مثل: (الإسلام، جنة الفردوس، السَلسَبيل، الرحمن، القدر، مكة، فلنصطبر، ظلًا ظَليلًا) ولكن قد يكون ذلِك تأثيرًا ظاهريًا للألفاظ، إذ لم نَجد الروح الإسلامية متَغلغلة بعمق في ذات المرأة الأندلسية.

(١) نزهة الجلساء في أشعار النساء: ٢٩.

Abstract

Andalusian women's poetry is not a new trend in Arabic literature, but it is an extension of it in Andalusia. I chose the literature of Andalusian women specifically, because I have always admired the contributions of women in the field of literature, and because it did not receive the adequate study that the literature of men has received. Hence my desire to study Andalusian woemn's poetry. The reader of Andalusian women's poetry finds a clear influence of them in the political, social, religious and literary life because of the freedom that has been made available to Andalusian women. Women in Andalusia, whether slave or free, enjoyed more freedom than in other Arab countries.

There were class distinctions in Andalusian women's poetry; there were aristocratic poets, middle-class poets, and slave poets. The social environment influenced the portrayal of the liberal self, because of the interaction of Andalusian women with the ingredients of the Andalusian society and their adjustment with their customs and traditions. This made them to be so liberal and not committed to social restrictions, so she formed a clear picture of herself that is loving the other and expressed her emotions and feelings towards him.

She flirted whom she loved in an open and obvious way similar to men's flirtation of women, in violation of the norms and traditions of eastern society. Andalusian women's poetry revealed multiple and heterogeneous selves, including the proud self, the sad self, the pessimistic self, the committed self, the liberal self and the sarcastic self. The language of our poetesses was characterized by easy words and phrases away from strangeness and philosophical complexity.